نحو القلوب

تأليف

الأستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري
المتوفى سنة ٤٦٥ هـ

وضع حواشيه

مرسي محمد علي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا كتاب جديد للأستاذ القشيري في النحو واللغة فقد عرفنا عن أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أنه صوفي ومؤلفاته جميعاً تدل على نهجه وضلوعه في علوم الفقه والدين والتصوف لكن لم نكن نعلم أنه ضالع في علوم كثيرة ومن جملتها النحو وذلك ما يدل على سعة علمه وبعد أفقه لا سيما إذا عرفنا تبحره في النحو ولا يفوت عالماً كبيراً كالقشيري مدى أهمية هذا العلم العربي في ضبط الكلام وفي تجميل المنطق.

وما جاء في كتابي نحو القلوب الكبير ونحو القلوب الصغير في التعبير عن المهم والمفيد في هذا المجال يغني القارىء عن مطالعة كتب كثيرة في النحو فقد عبَّر فيهما بأسلوب مختصر وبالغ الأهمية وبإيجاز قل أن نجده في كتب أخرى فقد بدأ بتعريف معنى كلمة النحو في اللغة بأنه القصد إلى صواب الكلام وختمها بتعريف الجموع وبقوله في نهاية الكتاب:

هذه فصول في نحو القلوب أنشأناها على وجه الإيجاز وبالله توفيق الخلق أجمعين وعليه التكلان والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

التعريف بالمؤلف

هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري القشيري الشافعي. صوفي. مفسر. فقيه ـ أصولي. محدث متكلم. واعظ، أديب، ناثر. ناظم.

ولد في ربيع الأول ٣٧٦ هـ وتوفي بنيسابور سنة ٤٦٥ هـ.

أشهر مؤلفاته: الرسالة القشيرية ـ لطائف الإشارات، التحبير في شرح أسماء الله الحسنى.

مصادر ترجمته: انظر معجم المؤلفين ج ٢/ ٢١٢. سير أعلام النبلاء ١١/ ١٩٨، وفيات الأعيان ١/ ٣٧٦.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

وبه ثقتي

الحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قال الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ـ رحمه الله:

فصل [١]:

النحو[١] (في اللغة) هو القصد إلى صواب الكلام، يقال:

نحوت نحوه أي قصدت قصده (وهذا النوع في العربية يسمى نحواً لأنه القصد إلى صواب الكلام).

فنحو القلب القصد إلى حميد القول بالقلب وحميد القول مخاطبة الحق بلسان القلب، وينقسم ذلك إلى:

المناداة والمناجاة، فالمناداة صفة العابدين، والمناجاة نعت الواجدين، المناداة على الباب، والمناجاة على بساط القرب، فموقف العابد أبواب الخدمة، ومَرْبَع[٢] الواجد بساط القُربة.

---

(١) النحو: إعراب الكلام العربي، والنحو: القصد والطريق، يكون ظرفاً ويكون اسماً، نحاه ينحوه وينحاه نحواً وانتحاه، ونحو العربية منه. إنما هو انتحاء سَمْتِ كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكبير والإضافة والنسب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، أو إن شذّ بعضهم عنها رُدّ به إليها وهو في الأصل مصدر شائع أي نحوت نحواً كقولك: قصدت قصداً، ثم خُص به انتحاء هذا القبيل من العلم. (لسان العرب ١٥/٣٠٩ ـ ٣١٠).

(٢) المَرْبَعُ: الموضع يقيم فيه الناس زمن الربيع على الخصوص (ج) مرابع.

فصل [٢]:

الكلام[١] اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى:

وفي نحو (القلوب): الاسم هو الله والفعل ما كان من الله، والحرف إما يختص بالاسم فيوجب له حكماً، أو يختص بالفعل فيقتضي له نسبة، وكما أن الحرف إذا دخل على اسم أوجب له إما حكم النصب أو الخفض أو غيره، فالوصف الذي هو العلم (مثلاً) يوجب لله حكم العالم. . وكذلك القدرة والحياة وسائر صفات الذات.

وكما أن من الحروف ما يوجب للفعل حكم النصب والجزم فوقوع أفعال الحق على أوصاف يوجب له نعت الاسم في الخلق.

فصل [٣]:

والاسم في نحو القلب ما كان مخبراً عنه في مخاطبة الحق، والفعل ما كان خبراً في مخاطبة العبد مع الحق.

والحروف رباطات تتم بها فوائد نطق القلب.

فصل [٤]:

والكلام المفيد ما كان اسماً واسماً، أو فعلاً واسماً وما عداه من الأقسام غير مفيد.

وفي نحو القلب مفيد وغير مفيد، فغير المفيد ما ليس لله، والمفيد ما يسمع من الحق أو يخاطب به الحق، وما سواه فلغو.

ويقال: المفيد إما دل على الذات، أو أشار إلى الصفات، أو كان عبارة عن المصنوعات. . هذا هو التقسيم الحاوي لجميع المعاني، لا يشذ عنه قسم من أقسام الخطاب الذي هو مفيد.

---

(١) الكلام عند النحاة: هو اللفظ المفيد فائدة يُحسن السكوت عليها. كقولنا: حضر زيد أو أكرمت ضيفي أو سعدٌ كريم أو استقِمْ، وأقلّ ما يتألف منه الكلام كلمتان، وقد تكونان اسمين أو فعلاً واسماً. (النحو والصرف ص ٣. د. عاصم بهجة البيطار).

الإعراب والبناء[1]

فصل [٥]:

الكلام ينقسم إلى معرب ومبني، والإعراب تغير آخر الكلمة لاختلاف العامل إما بحركة أو سكون أو حذف.

والبناء أن يلزم آخر اللفظة إما حركة أو سكون.

ونطق القلب إما بلفظ يراعى فيه توقيف الحق، أو قالة أَذِن فيها الحق تصريف الخَلْق، فالأول ما تسمع بقلبك فتقف عند ذلك بلا تكلف منك[2]، والثاني ما تناجي به مولاك على مقتضى ما تجد فيه من إشارة البسط، فأحدهما حال جمع، والثاني حال فرق.

فصل [٦]:

وجوه الإعراب أربعة: الرفع والنصب والخفض والجزم. وللقلوب هذه الأقسام، فرفع القلوب قد يكون بأن ترفع قلبك عن الدنيا وهو نعت الزهاد. وقد يكون بأن ترفع قلبك عن اتباع الشهوات والمنى ـ وهو نعت العُبّاد وأصحاب الأوراد والاجتهاد.

وقد يكون بأن ترفع قلبك عنك وتعتقد أنه لا يجيء منك شيء ـ وهذا نعت أصحاب الانكسار، وأرباب الخضوع والافتقار.

وقد يكون برفع القلب إلى الحق، وتصفيته عن شهود الخلق.

وقد يكون برفع يدك عن الحرام ثم برفع ما تضمره من إثبات الأنام ثم ترفع يدك إلى الله بسؤال الحاجات، ثم ترفع الحاجات عند إحكام المحبة[3] حتى تكون بالله لله، تمحو ما سوى الله.

---

(١) الإعراب في اللغة هو الإفصاح والإبانة والإظهار. يقال: أعرب عن رأيه إذا أفصح عنه وأظهره، والإعراب في اصطلاح النحاة هو أثرٌ ظاهر أو مقدّر يجلبه العامل في آخر الكلمات المعربة. أما البناء في اصطلاحهم فهو ثبوت آخر الكلمة على حالة واحدة على اختلاف العوامل المؤثرة فيها وموضعها من الإعراب. فكأنها البناء الثابت الذي لا يتغير على اختلاف عوامل الطبيعة (النحو والصرف ص ١٨. د. عاصم بهجة البيطار).

(٢) انظر الرسالة القشيرية ص ٦٦.

(٣) انظر حديث القشيري عن المحبة في الرسالة القشيرية ص ٣١٧ ـ ٣٢٩.

وأما نصب القلوب فيكون بانتصاب البدن على بساط الوفاق، ثم بانتصاب القلب في محل الشهود بحسن الإطراق، ثم بانتصاب السر بوصف الانفراد.

والتنقي عن دقائق الافتراق.

وقد يكون العبد منصوباً لجريان حكم المقادير من غير أن يكون له اختيار، ولا له فيما هو به إيثار، أو منه فيه اشتغال، ولما يلقى به استثقال، ولما ينتظره استقبال، ولا لما يوعد به استعجال.

ليس لهؤلاء فيهم حظ ولا نصيب، ينصبهم الحق لحقه لا لحظهم فهم غياث الخلق، قائمون للحق بالحق.

وأما خفض القلوب فيكون باستشعار الخجل، واستدامة الوجل، ولزوم الذل وإيثار الخمول، وملازمة الخشوع، وإلقاء النفس في ذبائح الجهاد.

وقد يكون بخفض الجناح ـ لكل من طالبك بشيء ليس في الشرع له نُكْر ـ من غير رد ولا نزاع، ولا إبرام واستكراه. وهكذا العارف يستقل أعقاب الكافة مستحقراً لقَدْرِه مستقذراً لنفسه وفعله في عاجله وآجله.

وأما جزم القلوب، فالجزم القطع، ويكون بحذف العلائق، والسكون تحت جريان أحكام الحقيقة من غير إخلال بشيء ـ من آداب الشريعة.

ويكون جزم القلوب قطعها عن خطرات المُنَى، فإن الأماني والمعنى متضادة، فيقطع أعناق المطالبات والإرادات والاختيارات بسيوف اليأس، ثم يسكن بالله لله مع الله، فإن رجع إلى ابتغاء الرخص شهدت عليه الطريقة بالشرك والردة(١).

فصل [٧]:

وجوه البناء(٢) في النحو أربعة: الضمة والفتحة والكسرة والسكون. وللبواطن على لسان أهل الحقائق هذه الأقسام:

---

(١) هذه الكلمات أصل في مصنفات القشيري. قال في الرسالة ص ٣٦٤: لا بد للمريد من حفظ عهوده مع الله تعالى، فإن نقض العهد في طريق الإرادة كالردّة عن الدين لأهل الظاهر... وقال فيها أيضاً ص ٣٨٠: فإن الرخص في الشريعة للمستضعفين... ولهذا قيل: إذا انحط الفقير عن درجة الحقيقة إلى رخصة الشريعة فقد فسخ عقده مع الله تعالى.

(٢) للتوسع انظر النحو والصرف ص ٢٠ ـ ٢٨ للدكتور عاصم بهجة البيطار.

فضم الأسرار صونها عن الأغيار، وفتحة القلوب تنقيتها من الكروب بمفاتحات الغيوب، وكسرة القلوب سجودها عند بغتة الشهود ومفاجآت الالتقاء، وسكون البواطن سكونها إلى الحق بنعت الاستئناس على وصف الدوام في عموم الأحوال.

وفي المعرب والمبني إشارات أخر:

فالمعرب يتغير آخره باختلاف العوامل.

والمبني ما يكون على صيغة واحدةٍ. . . . وكذلك صفات العبد منها ما يقبل التغير والتأثير ـ وهي ما كان مجموعاً بتصرفه وتكلفه، ومنها ما لا يقبل التحويل والتبديل وهي موضوعات الحق ـ سبحانه ـ فيه من أخلاقه، ويكون ذلك بحسب ما سبق له من أرزاقه، وكذلك من أحكامه فيما وجب له من سابق أقسامه، فمن شقي نفذ بالرد قضاؤه، ولم ينفعه كدّه وعناؤه، ومن سعد مضى بالقبول حكمه، فلم يخرجه عن محكوم السعادة جُرمه.

ومن أقسام البناء ما يبنى على الكسر، فصاحبه أبداً مكسور لا ينجبر كسره، ولا يتغير فقره، ولا يزول ضره، ولا يصلح قط أمره، صباحه بلاء، ورواحه شقاء، وجده منكوس، وحظه مبخوس، ونجمه منحوس، وقصده معكوس. . إن ورد نهراً غيض ماؤه، وإن وجد دُرًّا قرب فقده.

ومن ذلك ما بني على الفتح فصاحبه لا يزول نعيمه، ولا يبرح مقيمه، يسطح من البعد نسيمه، ويسعد على القرب نديمه، ولا يتكدر بغيبته مشربه، ولا يتغير ـ بطول حجبته مذهبه.

الصدر له فارغ وإن أبطأ في حضوره، والشمس ظلام عند تلألىء نُورِه، والبدر يخجل لفجاءة[1] ظهوره.

ومن ذلك ما بني على الضم، فصاحبه مرفوع عنه كلفة الاختيار، غير معاتب على

---

(١) الفجاءة من الاصطلاحات الصوفية التي استخدمها القشيري في مولفاته ونخص الرسالة القشيرية. قال: البواده ما يفجأ قلبك من الغيب على سبيل الوهلة. . . ومنهم من يكون فوق ما يفجؤه حالاً وقوة. (الرسالة القشيرية ص ٧٨). وقال: «لما ورد عليهن من شهود يوسف عليه السلام بشكل مفاجىء» ص ٧٩. وقال: «وقد يرد بسطه فجأة. . .» (الرسالة ص ٥٩). وقال: «الخشوع قشعريرة ترد على القلب بغتة عند مفاجأة كشف الحقيقة (الرسالة ص ١٤٦).

اختلاف الأطوار، ولا متلون الحكم عند تفاوت الآثار، فالعتب عنه مرفوع، والعذر عنه موضوع، فلا له عقل فيلزمه تكليف، ولا له أو منه ـ في الشرع ـ فعل فيتوجه عليه تضيف. . . هؤلاء باسر القدرة، مشكل بين الورى حديثهم، ملتبس على الكافة أمرهم.

ومن ذلك ما بني على السكون فصاحبه على مكانه موقوف، وعن قصده مصروف، لا يغني عنه جِدّه، ولا يسعده جَده، يطول به الزمان، وتتوالى عليه الحدثان، وهو من أول حاله إلى نهاية مآله لا يجاوز سورة الإخلاص، ولا يخرج إلى صورة الانتقاص.

كذلك الأحكام: مختلفة الأقسام، متفاوتة الأدوار.

فصل [٨]:

الأسماء على ضربين: اسم معرفة، واسم نكرة.

وفي الإشارة: الخلق كذلك، فمن صاحب معرفة، ومن صاحب نكرة، ولكل حدٌّ ووصف. فالاسم النكرة يصير معرفة ـ ولا رتبة فوق أن صار معرفة. كذلك لا رتبة للعبد فوق العرفان. . قال المشايخ: ما رجع مَنْ رجع إلا من الطريق، أما من وصل فما رجع.

فصل [٩]:

الاسم المفرد إذا ثنّيته ألحقته ألفاً في حال الرفع، وياء في حالي النصب والجر ونوناً بعد الألف والياء.

ونون التثنية مكسورة، وهي تسقط عند الإضافة.

والإشاة من ذلك: أن الواحد لا تثنية له من لفظ الواحد، و(الاثنان) لا واحد له من لفظه، فلا يقال من (الواحد) واحدان، ولا من (اثنين) اثن، وهذا محال في التقدير.

كذلك الذي هو (واحد) في الحقيقة يستحيل أن تزول عنه وحدانيته ـ تقديراً ووجوداً. والذي يصح أن يكون (اثنين) فمن المحال أن يصير فرداً لا ثاني له ـ تقديراً. قال الله تعالى.

﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكَّرون﴾ [الذاريات: ٤٩] الآية.

فصل [١٠]:

وما دام الواحد من الأسماء واحداً فهو بصفته في حروفه، فإذا انضم إليه غيره حتى يصير اثنين وقع في التغير:

فمرة مرفوعاً بالألف، ومرة منصوباً أو مخفوضاً بالياء ـ كذلك العبد ما دام بقلبه مفرِّداً مجرَّداً فهو في أسمى نعوته، فإذا حصلت علاقة المواصلات وقع في التلوين فمرة ومرة.

ونون التثنية أبداً مكسورة، كذلك صاحب العلاقات مكسور الجناح يطرح نفسه كل مطرح.

ونون التثنية تسقط عند الإضافة، لأنها بدل من التنوين في الواحد، والتنوين والإضافة أمارتان للمعرفة فلا يجتمعان كذلك صفة العارف إذا غلبت عليه صفة من صفات المعرفة فالصفة التي في مقابلتها تكون مغمورة مستورة ـ فإذا كان الغالب عليه القبض فبسطه مستور، وإذا كان الغالب عليه البسط فقبضه مغمور، وإذا كان الغالب عليه الأنس فالهيبة كالمقابل، وإذا كان غالبه الهيبة فالأنس(١) كالزائل. . . وعلى هذا النحو جميع أوصافه.

فصل [١١]:

الجمع على ضربين: جمع سلامة وجمع تكسير.

وفي الإشارة كذلك: ما يسميه القوم الجمع على قسمين: جمع سلم صاحبه، وهو ما حفظ عليه الشرع في وقت غلبات الجمع.

وجمع صاحبه مكسور الصحة، وهو ما لا يحفظ على مدَّعيه آداب العلم.

والفرق بين جمع أقسام النحو في الخطاب وأقسام جمع نحو القلوب: أن كلا الجمعين في الخطاب ـ في مسائل النحو ـ صحيح، أما في نحو القلوب فأحدهما صواب والثاني غير صواب.

(١) انظر الرسالة القشيرية ص ٥٨ ـ ٦١ (القبض والبسط، الهيبة والأنس).

الإشارة: جمع السلامة ما يسلم فيه لفظ الواحد كذلك جمع سلامة هذا الطريق ما يسلم العقل فيه من الشبهة، والفعل من البدعة، والنفس من الشهوة، والقلب من الغفلة والغيبة، والسِّر من الحجبة.

وجمع التكسير ما تكسر فيه لفظ الواحد: كذلك المدخول من جمع القوم ما يزول عن عقود الحقيقة، ويزيغ عن حدود الشريعة.

فصل [١٢]:

إذا جمعت اسماً مذكراً جمع السلامة فيما يعقل ألحقت بآخره واواً في حال الرفع، وياء في حالي النصب والخفض، ونوناً بعد الواو أو الباء ـ وهي مفتوحة، وتسقط عند الإضافة.

والإشارة: إذا صار الاسم إلى حال الجمع وقع في كل هذا التلوين والتغيير.. فمرة ومرة، من زيادة ونقصان، وتبديل وتخويل ـ كذلك صاحب الجمع زال حكمه عن نفسه، فمرة يظهره الحق في وديان التقريب، ومرة ينصبه في نعت الإبعاد.. وهو محو عن الاختيار ﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود﴾ [الكهف: ١٨].

خرج الشبلي[١] يوماً في زي رثّ فقيل له في ذلك فقال:

فيوماً ترانا في الحرير نجرّه ويوماً ترانا في الحديد عوابسا
ويوماً ترانا والثريد نلتّه ويوماً ترانا نأكل الخبز يابساً[٢]

وكان النبيّ ﷺ يقول مرة:

---

(١) هو دلف بن جحدر الشبلي (٢٤٧ ـ ٣٣٤ هـ ـ ٨٦١ ـ ٩٤٦ م) ناسك كان في مبدأ أمره والياً في دنباوند، وولي الحجابة للموفق العباسي، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة فاشتهر بالصلاح له شعر جيد سلك به مسالك المتصوفة. أصله من خراسان ونسبته إلى قرية «شبلة» ومولده بسر من رأى، ووفاته ببغداد، اشتهر بكنيته، واختلف في اسمه ونسبه الأعلام ٢/ ٣٤١، ووفيات الأعيان ١/ ١٨٠، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٨٩، وحلية ١٠/ ٣٦٦، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٨٩، والرسالة القشيرية ص ٤١٩ ـ ٤٢٠.

(٢) الثريد: الخبز يُفتّ ويُبلّ بالمرق. لتّ الطحين ونحوه: بلّه بالماء أو السمن وخلطه به.

«إني لست كأحدكم، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»(١) وقال مرة: «أنا ابن امرأة تأكل القديد»(٢).

ومرة حكم لعشرة بالجنة، ومرة يقول: «إنه ليغان على قلبي»(٣).

وجمع السلامة له قياس، وجمع التكسير كثير الفنون مختلف القياس شكل المباني.

كذلك من حُفِظ بوصف العلم فهو ـ مقاماً ـ سيدُ وقته وإمام زمانه. والذي هو في هذه الطريقة جمع تكسير فصاحب بلاء لا يهتدي إليه أحد، مردود عند من لا نصيب له من الطريقة، لكنه مستور في الحقيقة أمره، وهو في عين الشريف. ومن هو على جانب من هذا الحديث يظنه من أهل التكليف.

ألوانها شتى الفنون وإنما ... تُسقى بماء واحد من منهل

فصاحب هذه الحال مشكل الحال، ملتبس الوقت، لا تهجم على محله جوامع القياس، ولا تُشرف على غوامض نعته ثواقب التقدير.

فصل [١٣]:

من الأسماء أسماء مخصوصة أفردت عن أشكالها بجعل رفعها بالواو، ونصبها بالألف، وكسرها بالباء، وهي ستة أسماء: أبوك وأخوك وهنوك وحموك وفوك وذو مال.

الإشارة: كذلك من الناس من خُص عن أمثاله، وأفرد بالأحكام من بين أضرابه وأشكاله:

---

(١) أخرجه الحميدي في (المسند ١٠٠٩) والترمذي في (السنن ٧٧٨)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ٢٣، ٢٣٧، ٣/ ٣٠، ٢٠٢، ٢١٨، ٢٧٦، ٥/ ٣٦٤)، وابن الجارود في (المنتقى ٣٩٤).

(٢) أخرجه ابن ماجة (أطعمة ٣٠).

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح (الذكر ٤١)، وأبو داود في (السنن ١٥١٥)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٤/ ٢١١، ٢٦٠) والبيهقي في (السنن الكبرى ٧/ ٥٢)، والطبراني في (المعجم الكبير ١/ ٢٨٠) والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٢٣٢٤)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٥/ ٥٧، ٨/ ٢٩٩، ٥١٧، ٩/ ٥٩، ٦٢٨)، والبخاري في (التاريخ الكبير ٢/ ٤٣)، (بغوي ٦/ ١٨٠)، والسيوطي في (الدر المنثور ٦/ ٦٣)، وابن حجر في (فتح الباري ١١/ ١٠١)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٢٠٧).

قال أحدهم: ليس كل بَـشَر بِشْراً [1].

أي باين حكمه حكم من سواه، وانفرد عنهم في معناه.

فصل [١٤]:

الأفعال على ضربين: لازم[2] ومتعدٍّ[3].

وفي الإشارة كذلك: أفعال العبد على قسمين: لازم ومتعد، فاللازم ما تكون بركاته على صاحبه مقصورة، والمتعدي ما تتعدى خيراته إلى الغير.

والفعل المتعدي على أقسام: منها ما يتعدَّى إلى مفعول واحد[4]، ومنها ما يتعدَّى إلى مفعولين[5]، ومنها ما يتعدَّى إلى ثلاثة مفاعيل[6].

والإشارة: كذلك العبد قد تتعدى بركاته إلى عالم من الناس حتى قال الشيوخ: لو أن ولياً من أولياء الله اجتاز ببلد لغفر الله لأهل هذا البلد.

وفي الأثر: لو أنَّ محزوناً بكى في أُمّة لرحم الله تلك وفي الأثر: لو أنَّ محزوناً بكى في أمة لرحم الله تلك الأمة ببكائه.

---

(١) هو بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمٰن المروزي (١٥٠ ـ ٢٢٧ هـ = ٧٦٧ ـ ٨٤١ م) أبو نصر المعروف بالحافي، من كبار الصالحين. له في الزهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث من أهل «مرو» سكن بغداد وتوفي بها. الأعلام ٢/ ٥٤، ووفيات الأعيان ١/ ٩٠، وتاريخ بغداد ٧/ ٦٧ ـ ٨٠، والشعراني ١/ ٦٢، وحلية ٨/ ٣٣٦، والرسالة القشيرية ص ٤٠٤ ـ ٤٠٦.

(٢) اللازم: وهو ما لا ينصب المفعول به أي لا يتعدى أثره فاعله، ولا يتجاوزه إلى المفعول به ويسمى أيضاً: الفعل القاصر، وغير الواقع، وغير المجاوز نحو: جاء زيد، وفاز المجد، ونام الطفل (النحو والصرف ص ٣٤٠ د. عاصم بهجة البيطار).

(٣) المتعدي: وهو ما يتعدى أثره فاعله ويتجاوزه إلى المفعول به نحو: فتح العربُ العالم بأخلاقهم قبل سيوفهم، ويسمى أيضاً الفعل الواقع أو الفعل المجاوز. (النحو والصرف ص ٣٤٠).

(٤) المتعدي إلى مفعول واحد وهو كثير نحو: كتب، وأخذ، وأكرم (النحو والصرف ص ٣٤٠).

(٥) المتعدي إلى مفعولين وهو ضربان: آ ـ ما ينصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبراً نحو: أعطى، سأل، منح، كسا، ألبس. نقول: كسوتك ثوباً وألبستك حلية. ب ـ ما ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر نحو: ظن، خال (النحو والصرف ص ٣٤٠ ـ ٣٤١).

(٦) المتعدي إلى ثلاثة مفاعيل وهو: أرى، أعلم، أنبأ، نبّأ، أخبر، خبّر، حدّث. (النحو والصرف ص ٣٤١).

فصل [١٥]:

خمسة أمثلة من الأفعال رفعها بالنون، ونصبها وجزمها بسقوط النون وهي: يفعلان وتفعلان ويفعلون وتفعلون وأنت تفعلين.

وفي الإشارة كذلك: من الأفعال ما يكون مخصوصاً، ولا تقبل إلا بزيادة تقترن بها، فيؤتى بها بشرط قِران ينضم إليها: كرمي الجمار[١] مثلاً: لا يكون طاعة إلا في الحج، كما أنَّ السعي بين الصفا والمروة[٢] لا يكون عبادة إلا في الحج والعمرة[٣]، فمن قُيِّض لأجل شيخ من الشيوخ أو عارف أو ولي لنفع له منه حتى إذا مضى وقت ذلك الشيخ فلا قَدْر لذلك الشخص.

فصل [١٦]:

الأفعال على أقسام: صحيح ومعتل ومضاعف[٤].

الإشارة: كذلك أفعال المكلفين على أقسام: صحيح ومعتل، وكما أن الصحيح من الأفعال ما سلم من حروف العلة فالصحيح من أفعال العباد ما سلم من صنوف العلة. وحروف العلة ثلاثة:

الواو والألف والياء، وصنوف العلة الرياء والإعجاب والمساكنة.

وبعض حروف العلة أضعف وبعضها أقوى، كذلك فإن بعض صنوف علل الأفعال ألطف وبعضها أبْدَى.

ومن الأفعال ما يكون حرف العلة في أوله وهو المثال، كذلك، من أفعال العبد ما كانت العلة في أوله وهو ألا يكون الدخول فيه على حد الإخلاص.

---

(١) الجمار: (ج) الجمرة: الحصاة الصغيرة يُرمى بها في مِنًى أيام الحج.

(٢) الصَّفا: اسم أحد جبلي المسعى من مشاعر الحج بمكة. المروة: إحدى شعائر الحج يسعى بينها الحاج وبين الصَّفا.

(٣) العُمرة: أفعال مخصوصة تسمى بالحج الأصغر، وأفعالها أربعة: الإحرام، والطواف والسعي بين الصَّفا والمروة، والحَلْق. وليس لها وقت معيّن، ولا وقوف بعرفة (ج) عُمَرٌ.

(٤) انظر حديث الدكتور عاصم بهجة البيطار عن هذا الفصل في كتابه النحو والصرف ص ٣٢٤ ـ ٣٢٦.

ومنها ما هو أجوف... وهو الذي حشوه حرف علة، كذلك من أفعال العبد ما هو أجوف وهو الذي داخله زلة كالغيبة والغفلة.

ومنها ما هو ناقص وهو الذي يكون في آخره حرف علة، كذلك من أفعال العبد ما هو ناقص وهو الذي تعقبه آفة، فإن قبول القرب موقوف على وفاء العواقب.

ومن الأفعال ما هو لفيف، وهو الذي اجتمع فيه حرفان من حروف العلة إما مقترنين أو مفترقين، كذلك من الأفعال ما تتوالى عليه الآفات، فصاحبه يعتريه الرياء ويلحقه الإعجاب.

ومن الأفعال ما هو مُضَعَّف، وذلك ما اجتمع فيه حرفان متجانسان فأدغم أحدهما في الآخر، كذلك من أفعال العبد ما ضوعف لصاحب أجره، أو ضوعف عليه وزره وذلك ما اجتمع فيه حقّ الحق وحق الخلق فضوعف حكمه في الأجر والوِزْر.

فصل [١٧]:

الإدغام الإخفاء، فالحرفان في التقدير موجودان وإن كانا على اللسان بوصف الانفراد. وفي هذا إشارة إلى ما يقوله القوم في وصف الجمع وجمع الجمع.

والمدغم من الحروف قد يكون له حال بروز في بعض أحوال التصريف.. كذلك صاحب الجمع له رجوع وردّ في بعض الأحايين إلى عين الفرق.

ومن أقسام الفعل المهموزُ.. والهمزة مدّ في الحلْق.. كذلك قد يصعد بعض الأفعال زيادة على ما يصعد غيره من حيث القبول.

فصل [١٨]:

الاسم المبتدأ شرطه أن يكون مصدراً للإخبار عنه، مجرداً عن العوامل اللفظية.

وإنما يكون الاسم مبتدأ إذا لم يعمل فيه عامل ظاهر، فإذا سلم من العوامل الظاهرة سلم له صدر الخطاب. فكذلك من سلم من تأثير الأطماع فيه، ولم تعمل فيه الشهوات والإرادات سلم له التقدم، ومن أَسَرَتْهُ المنى والمطالبات تسفّل في الأعقاب، ووقع في صف النعال.

فصل [١٩]:

العوامل على قسمين: لفظي[١] ومعنوي[٢]، فالاسم المبتدأ: العامل فيه معنى الابتداء، وهو غير لفظي، وإنما هو وقوعه مبتدأ.

وكذلك في الإشارة: العامل في العبد نوعان: ظاهر يهتدي إليه كل أحد، ومستور لا يظهر إلا بعد مدة، قال الجنيد[٣] رحمه الله: «من أراد أن يضع سرّاً عند أحد فليضعه عند رويم[٤]، فإنه صحبنا كذا وكذا سنة وفي قلبه حبّ إلينا ولم نبصره فيه».

فصل [٢٠]:

ومن فصول باب الابتداء أنه خص المبتدأ[٥] بالرفع ـ وهو أقوى الحركات ـ لمصادفته حل لجام[٦] التكلم كذلك في الإشارة من تخلص منِ تأثير المطالبات فيه، وتحرر من

---

(١) العامل اللفظي: وهو العامل المذكور في الكلام كالفعل الذي يرفع الفاعل وينصب المفعول به والمشتقات العاملة عمل أفعالها، والحروف المختصة كحروف الجر المختصة بالأسماء، والنواصب والجوازم المختصة بالمضارع، والأحرف المشبهة بالفعل المختصة بالجملة الاسمية وقد يكون العامل اللفظي غير مذكور في اللفظ ولكنه بمثابة المذكور لدلالة الكلام عليه كـ«رب» التي تحذف فتدل عليها الواو أو الفاء و(أن) الناصبة للمضارع التي تضمر فتدل عليها لام التعليل أو لام الجمود أو غيرهما، وهذه العوامل اللفظية ليست في مرتبة واحدة من القوة والقدرة على العمل بل هي في ذلك على تفاوت جعل النحاة يقسمونها قسمين هما: العوامل الأصلية والعوامل الفرعية. (النحو والصرف للدكتور عاصم البيطار ص ١٨ ـ ١٩).

(٢) العامل المعنوي: وهو عامل قدّره النحاة تقديراً وافترضوه افتراضاً لأنهم جعلوا لكل حركة سبباً أو عاملاً أتى بها، ثم وجدوا أن المتبدأ مرفوع فقالوا: العامل فيه هو الابتداء، وهو التجرد من العوامل اللفظية ووجدوا كذلك أن الفعل المضارع يرفع إذا تجرد عن الناصب والجازم فجعلوا هذا التجرد من العوامل اللفظية هو العامل في المضارع (النحو والصرف ص ١٩).

(٣) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز (توفي ٢٩٧ هـ = ٩١٠ م) أبو القاسم، صوفي، من العلماء بالدين. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. له «رسائل» و«دواء الأرواح» وغير ذلك الأعلام ١٤١/٢، ووفيات الأعيان ١١٧/١، وحلية ٢٥٥/١٠، وتاريخ بغداد ٢٤١/٧، وطبقات السبكي ٢٨/٢ ـ ٣٧، والرسالة القشيرية ص ٤٣٠ ـ ٤٣١.

(٤) هو رويم بن أحمد بنَ يزيد بن رويم (توفي ٣٣٠ هـ = ٩٤١ م) صوفي شهير، من جلة مشايخ بغداد، الأعلام ٣٧/٣، وطبقات الصوفية ١٨٠، والرسالة القشيرية ص ٣٩٠.

(٥) انظر حديث الدكتور عاصم بهجة البيطار عن المبتدأ في كتابه النحو والصرف ص ٥٤ ـ ٦٠.

(٦) اللِّجام: أداة من حديد توضع في فم الدابة، يشدّها الراكب بسير أو حبل يمكّنه من السيطرة عليها (ج) لجم وألجمة.

الإرادات قوي في حاله فخُصّ بأقوى الأثقال وحُمِّل أثقل الأمور لأنه يحمله بقوة، فأقواهم حالاً يخص بأثقل الأمور، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً**﴾ [المزمل: ٥].

وقال ﷺ: «الناس كإبل هائمة لا تكاد تجد فيها راحلة»[1].

وكان الشبلي يقول: «أشْعُرُ أني مأخوذ بجرائم الخَلْق».

فصل [٢١]:

لا بد للمبتدأ من الخبر. . والخبر[2] ما تتم به فائدة الخطاب، فإذا حصل الابتداء فلا بد مما تتم به فائدة الخطاب وإلا كان لغواً.

كذلك الابتداء في العرفان، فلا بد مما تتم به الفائدة وهو استدامته إلى حال الانتهاء، فإذا حصل الابتداء بالطاعات فلا بد من تمامها: قال ﷺ: «الأمور بخواتيمها»[3].

وكذلك على لسان الجمع: إذا حصل منه (سبحانه) ابتداء القسمة بالرحمة فلا بُدّ في الانتهاء والمآل من المنة والنعمة، وإذا سبق منه الابتداء بالولاء فلا محالة ينعم بحفظه في الانتهاء، ولذلك قيل:

إنَّ الكـــريـــم إذا حبـــاك بـــودِّه ستــر القبيــح وأظهــر الإحســانــا
وكـــذا الملـــول إذا أراد قطيعـــة ستــر المليــح وقــال كـان وكـانــا

فصل [٢٢]:

خبر المبتدأ على أقسام وبالكل تحصل فائدة الخطاب.

كذلك لو سلكت للحق طريقاً، أو ابتدأت بأمر فلا تنصرف ما لم تتم ذلك سواء كان سلوكك سبيل العبادة، أو طريق الإرادة، أو طريق العلم، أو طريق الزهد فإن قدر الأمور بالاستقامة فيها، فإذا ابتدأت بأمر فاعلم أنه لا تتم الفائدة إلا بإتمامه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في (السنن ٣٩٩٠)، وابن عبد البر في (تجريد التمهيد ٩/ ٢١٢).
(٢) انظر حديث الدكتور عاصم بهجة البيطار عن الخبر في كتابه (النحو والصرف ص ٦١ ـ ٦٨).
(٣) أخرجه البخاري (قدر ٥)، (رقاق ٣٣)، والترمذي (قدر ٤)، وأحمد بن حنبل ٥/ ٣٣٥.

تجـرَّد إلــى الـدنيـا فـإنـك إنمـا		سقطـت إلـى الـدنيـا وأنـت مجـرَّد

فصل [٢٣]:

خبر المبتدأ قد يكون مثل المبتدأ كقولك: زيدٌ منطلقٌ. ويكون جملة إما فعلاً وفاعلاً، أو شرطاً وجزاءً، أو ظرفاً. . ويجميع ذلك تحصل فائدة الخطاب.

كذلك إذا ابتدأت بأمر فيكون تمامه بتجردك لذلك الأمر كما ابتدأت به، فتكون اليوم فيه كما كنت بالأمس. وقد لا تحصل الفائدة إلا بجملة من الأفعال والصفات تزيد على حالتك الأولى، إذ لو لم تضفها إلى ما سبق منك بالأمس لا تحصل الفائدة.

فصل [٢٤]:

الفاعل(١) مرفوع، وقيل: علة الرفع مشابهته للمبتدأ، وقيل: لقوة حاله خُصّ بأقوى الحركات.

وقيل: للفرق بينه وبين المفعول ـ والرفع أقوى الحركات.

وفي الإشارة: استحقاق الرفعة والعلو للحق سبحانه وتعالى، لأنه الفاعل على الحقيقة، وليس لغيره قدرة على الاختراع. ولأن الابتداء في الأمور منه فهو الأول السابق، واستحقاق الرفعة والعظمة له.

فصل [٢٥]:

المفعول منصوب، والنصب أخف من الرفع، والمفعول أنقص رتبة من الفاعل فخُصّ بما هو الأخف من الحركات.

كذلك الخلق هم المفعولون، فلهم حالة العجز والنقص، لأنهم في أسر القدرة وتصريف القبضة.

وقيل:

فـــاصبـــر لِمُـــرّ العنـــاء		فقـد خُلقْـت مَمـرّ القضـاء

---

(١) الفاعل: اسم يدلّ على من أسند إليه فعل أو ما يشبهه إيجاباً أو سلباً، أو يدل على من قام به الفعل نحو: فازَ المجاهدُ، ما خاب من استشارَ، مات المريضُ. (النحو والصرف ص ٣٦).

فصل [٢٦]:

المفعول على أقسام: مفعول مطلق(١)، ومفعول به(٢)، ومفعول له(٣)، ومفعول فيه(٤)، ومفعول معه(٥).

كذلك المفعولات على أقسام: فالجمادات مفعولات على الإطلاق، والحيوانات مفعول بها، تجري عليها أحكامه ـ سبحانه ـ في النفع والضر. والمكلفون مفعول لهم، خلق لأجلهم الجنة والنار. وأحوال المكلفين مفعول فيها لأنهم يعملون بالمعاصي والطاعات فيها. والبلاء مفعول معه لأن بني آدم خلقوا والبلاء والعناء معهم. قال الله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ [البلد: ٤].

ويصح أنه يقال: الأرزاق مفعول معه لأنها لازمة لأوليائه، فلا يكون لله وَلِي إلا وهو مُكْفي الشغل، قال الله تعالى:

﴿وهو يتولَّى الصَّالحين﴾ [الأعراف: ١٩٦].

فصل [٢٧]:

ما لم يسم فاعله مرفوع، لأنه لم يذكر فاعله فأقيم المفعول مقام الفاعل، فأعرب إعراب الفاعل، لأن الفعل لا بد له من فاعل، فيقال: ضُرِبَ زَيدٌ.

الإشارة: إذا التبس إثبات الصانع على أهل الغفلة نسبوا الأفعال إلى المفعولين

---

(١) المفعول المطلق: هو اسم يؤكد عامله نحو: سِرتُ سيراً، أو يبيّن نوعه أو عدده زيادة على التوكيد نحو: درست دراسة الطامحين، وزرت مواضع الآثار زورات ثلاثاً (النحو والصرف ص ١٤١).

(٢) المفعول به: اسم دل على ما وقع عليه الفعل سلباً أو إيجاباً نحو: قطف المُجدّ ثمرة عمله، ولم ينل المهملُ إلا الخُسران، ولم تتغير له صورة الفعل. (النحو والصرف ص ١١٩).

(٣) المفعول له: مصدر يبين علة ما قبله نحو: زرتك رغبةً في علمك. ويسمى المفعول لأجله أو من أجله. (النحو والصرف ص ١٣٦).

(٤) المفعول فيه: اسم دل على زمان المفعل أو مكانه وتضمن معنى «في» الظرفية باطّراد نحو: قرأت ساعة وذهبت مكانك. وقد سماه البصريون «ظرفاً» وسماه الكوفيون «محلاً» لأنه محل للأفعال. (النحو والصرف ص ١٤٩).

(٥) المفعول معه: اسم، فضلة، تالٍ لواو بمعنى مع، تأتي بعد جملة ذات فعل أو ما فيه معنى الفعل وحروفه نحو: جئت وشروق الشمس.

فتوهموا للمفعول استحقاق رتبة الفاعل فيضيفون الكائنات إليهم، لأن العلم ـ بأن هذه الحوادث لا بد لها من محدث على الجملة ـ ضرورة.

فإذا لم يثبتوا الصانع توهموا الفعل من المفعولين، فواحد أقام الطبع مقام الفاعل في التوهم، وآخر النجم، وآخر الفلك، وآخر الجَد والبخْت، وآخر الدولة وآخر الدهر وآخر زيداً، وآخر عمروا. . .

فكما أنَّ إعراب الرفع للذي لم يسم فاعله ليس بحقيقة كذلك تُوهِّم أن الحادثان من المفعولات والمفعولين لا حقيقة له.

فصل [٢٨]:

المضاف[١] إليه له الخفض، تقول: دار زيدٍ.

والإشارة: أنَّ الخفض أضعف الحركات: عندما كان الاسم مفرداً، كان له أقوى الحركات، فلما جاءت الإضافة صارت له أضعف الحركات. كذلك العبد ما دام مجرداً فله أقوى الحالات، فإذا جاءت العلاقة صار إلى أضعف الحالات.

فصل [٢٩]:

كان وصار[٢]. . . إلى آخر هذه الأفعال ألفاظ ترفع الأسماء وتنصب الأخبار، تقول: كان زيدٌ قائماً. . .

فهذه مُشَبَّهة بأفعال وليست بأفعال محضة.

والإشارة: أنها لما ضارعت الأفعال أجريت مجرى الأفعال الحقيقية، فكما أن الفاعل رفع والمفعول به نصب فكذلك اسم كان مرفوع وخبره منصوب، ولكن يُنادى عليها

---

(١) الإضافة: هي نسبة بين اسمين يتعرف فيها الأول أو يتخصص بالثاني نحو: قلم زيد جديد، وزارنا رجلُ وفاءٍ، فـ«قلم» تعرّف بإضافته إلى «زيد» المعرفة و«رجل» تخصص وزال شيوعه وعمومه بإضافته إلى «وفاء» النكرة. (النحو والصرف ص ٢١٧).

(٢) هذه الأفعال ثلاثة عشر فعلاً: (كان ـ ظل ـ بات ـ أصبح ـ أضحى ـ أمسى ـ صار ـ ليس ـ ما زال ـ ما برح ـ ما فتىء ـ ما انفك ـ ما دام) وكلها تدخل على الجملة الاسمية فترفع المبتدأ تشبيهاً بالفاعل وتنصب الخبر تشبيهاً بالمفعول. (النحو والصرف ص ٧٠ د. عاصم البيطار).

أنها ليست بأفعال محضة، فكذلك من تشبه بقوم يجري مجراهم، ويحكم له ـ في الظاهر ـ بحكمهم ولكن يُنادى عليه بأنه متشبِّه بهم وليس منهم حقاً.

قال الشاعر في هذا المعنى:

إذا انسكبت دموع في خدود ... تبيَّن من بكى ممن تباكى

فصل [٣٠][١]:

الحروف التي تنصب الأسماء وترفع الأخبار معدودة محصورة وهي: إنَّ وأنَّ وكأنَّ ولكنَّ وليتَ ولعلَّ.

وعمل هذه الحروف ـ في الحقيقة ـ في الأسماء دون الأخبار، لأن الأخبار باقية على ما كانت عليه، وإنما تساهل النحويون فيه، فهذه الحروف أشبهت كان وأخواتها التي تعمل في الاسم والخبر جميعاً، ولما كانت هذه الحروف مشبَّهة بالمشبه ضعفت عنه في العمل فعملت في الاسم دون الخبر.

كذلك كلما كان العبد أبعد من التحقيق وأقرب من التلزيق والتلفيق كان أضعف في التأثير، وأخس في المقدار.

فصل [٣١]:

الفعل الماضي[٢] مبني على الفتح نحو: ضَرَبَ، والفتح أخف الحركات، فلما كان الماضي بمضيه له أضعف الحالات خُصّ بأضعف الحركات.

والإشارة: أضعفهم استحقاقاً أبخسهم نصيباً.

قال الشيوخ: «إنَّ لله عباداً لم يرهم أهلاً لمعرفته فشغلهم بنوع من عبادته».

فصل [٣٢]:

الفعل المضارع[٣] مرفوع لمضارعته الاسم، فأصل استحقاق الإعراب للاسم.

---

(١) انظر حديث الدكتور عاصم بهجة البيطار عن هذا الفصل في كتابه (النحو والصرف ص ٨٨ ـ ١٠٠).
(٢) انظر كتاب النحو والصرف ص ٢٢٤.
(٣) المضارع: وهو ما دل على حدث مقترن بالزمن الحاضر أو المستقبل نحو: «يكتب المجاهدون تاريخ =

والإشارة: مَنْ تشبه بقوم فهو منهم، ومن أحب قوماً حشر معهم.

وقال الشيوخ: هم القوم لا يشقى بهم جليس[1].

وقالوا: من تحقق بحاله لم يُحَلْ عنه حاضروه.

فصل [٣٣]:

الحروف التي تجزم الفعل المستقبل معلومة وهي[2]:

لم ولما وأخواتهما. والتي تنصبه معلومة[3] وهي:

أن ولن وكي وإذن.

الإشارة منه: أنَّ الفعل المضارع ما دام منفرداً كان له أقوى الحركات، فإذا عملت فيه العوامل تغير عن استحقاق أقوى الحركات، وآل إلى حال الضعف.

وكذلك العبد عند تجرده فهو بنعت استقلاله وقوته، فإذا عملت فيه الواردات من الرغبة والرهبة وغيرهما رد إلى الضعف، فبعدما كان بالله مستقلاً صار أسير حظ وصريع نصيب، ثم... بعض العوامل فيه تنصبه فتعرضه لكل قاصد، وبعض العوامل فيه تجزمه فتقطع عنه الفوائد.

= أمتهم» وهو قسمان: آ ـ معرب ويكون مرفوعاً بالضمة الظاهرة أو المقدرة إن كان معتل الآخر نحو «يعلم، يسعى، يقضي، يدعو» أو بحذف النون إن كان من الأفعال الخمسة نحو: «تعلمان، يعلمان، تعلمون، يعلمون، تعلمين» فإن سبق المضارع بناصب نُصب، أو جازم جُزم. ب ـ مبني، وبناؤه على السكون إن اتصلت به نون النسوة نحو: يكتبْن، يَرضَيْنَ وعلى الفتح إن باشرته نون التوكيد نحو: لأحفظنَّ العهد (النحو والصرف ص ٢٢٤ د. عاصم البيطار).

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٢/٣٨٣)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٢/٣٨٣، ٥/١٠)، وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٧/٣٩٢) والبيهقي في (الأسماء والصفات ٢٠٧)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ٥٤)، والسيوطي في (الحاوي للفتاوي ٢/١٢٤، وعلي الغفار في (مختصر العلو تحقيق: الألباني ٩١).

(٢) يجزم الفعل المضارع بنوعين من الجوازم آ ـ ما يجزم فعلاً واحداً وهو أربعة أحرف: لم، لما، لام الأمر لا الناهية. ب: ما يجزم فعلين اثنين الأول فعل الشرط والثاني جوابه وجزاؤه وهو: «إن، إذما، مَنْ، ما، مهما، متىٰ، أيان، أين، أنى ، حيثما، كيفما، أي». ويجزم المضارع بالسكون الظاهر، أو بحذف حرف العلة إن كان معتل الآخر، وبحذف النون، إن كان من الأفعال الخمسة، ويكون في محل جزم إن أتى ماضياً أو مضارعاً مبنياً. (النحو والصرف ص ٢٣٧ د. عاصم البيطار).

(٣) انظر حديث الدكتور عاصم البيطار عن نصب الفعل المضارع بكتابه النحو والصرف ص ٢٢٨.

فصل [٣٤]:

الأمر[١] مبني على السكون، نحو قولهم: اذهبْ. والنهي مجزوم نحو: لا تفعل.

والإشارة: السكون يشير إلى الدوام، كما أن الحركة تعني الزوال، فالأمر على الوجوب واللزوم، والنهي مجزوم إذ النهي عن الشيء يقطع عنك مرادك لتكون كما أمرت به، وتقف عما نهيت عنه.

وجواب الأمر وجواب النهي مجزومان، إذ ليس للمأمور ولا للمنهي لسان الاعتراض، وما شأنهما إلا الاستسلام والتزام مقتضى الأمر أو النهي، فنعت المعارضة من المأمور والمنهي مجزوم، وغير الانقياد والخضوع منهما معدوم.

فصل [٣٥]:

النعت[٢] تابع للاسم، فإن كان الاسم مرفوعاً فالنعت مرفوع، وإنْ كان منصوباً أو مخفوضاً فالنعت مثله.

والإشارة من الاسم إلى السر، ومن النعت إلى الوصف، وإن ما يلوح على الظاهر ما يلقى به عن السر، سألوا: مَنْ العارف؟ فقال: «لون الماء من لون إنائه»[٣].

وأنشدوا:

كيفما دارت الزجاجة دُرنا   يحسب الجاهلون أنا جُنِنا

ولما كان النعت تابعاً كان حكمه حكم متبوعه، وهكذا حكم كل تابع إنما هو حكم متبوعه.

فصل [٣٦]:

الشرط والجزاء مجزومان، وللشرط والجزاء حروف نحو: إنْ ومَن... وما أشبههما نحو قولك: إنْ تَضْربْ أَضْربْ.

---

(١) الأمر: هو ما دل على طلب حصول الحدث في المستقبل (أي بعد زمن المتكلم) نحو: افعل خيراً والأمر في الأصل تابع للمضارع، يُشتق منه، ويُبنى على ما يجزم به. (النحو والصرف ص ٢٢٥).

(٢) النعت: في اصطلاح النحاة ـ تابع يكمل متبوعه بدلالته على معنى فيه أو فيما يتعلق به. (النحو والصرف ص ٢٧٢).

(٣) انظر الرسالة القشيرية ص ٣١٦.

والإشارة: الجزاء لا يُستحق إلا بحصول الشرط سواء بسواء كذلك في الشرع علق أشياء من أفضاله على أشياء من أفعالك، فإن وفَيت بالشرط استوجبت الجزاء، لذا قالوا:

إن وجدنا لما ادعيت شهوداً لم تجد عندنا لحق جحوداً

وقال الله عز وجل: ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾ [البقرة: ٤٠].

فصل [٣٧]:

حروف العطف[١] عشرة: الفاء والواو وثم وأخواتها. وحكم المعطوف في الإعراب حكم المعطوف عليه.

والإشارة: لما اشتركا في المعنى تشاكلا في صورة الإعراب. كذلك: من صحب قوماً، ووافقهم، وانخرط في سلكهم، وعُدَّ من زمرتهم فما استقبلهم استقبله، وما يفتح لهم به يُفرد له منه نصيب.

وفي الأثر: «جلساؤكم شركاؤكم»[٢].

فصل [٣٨]:

همزة الوصل تلحق بالأسماء والأفعال في أحوال مخصوصة، ولكنها إنما تلحق ما تلحق بنية الحذف عند الاستغناء عنها.

والإشارة منه: أنَّ العبدُ يُنصب لمقام ـ والمقصود غيره، فإذا زال ذلك المعنى، وحصل ذلك المقصود رد هذا المنصوب إلى ما يستحقه، وهذه محنة للأكباد مُفَتِّتة، وفي معناه استشهدوا بهذا البيت:

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وقال غيره:

---

(١) انظر النحو والصرف ص ٢٩٤ ـ ٣٠٤.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في (التمهيد ٦/ ١٥٦)، والقرطبي في (التفسير ١٣/ ١٩٩)، والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٣٩٤).

سكنوا في ديارهم ثم قالوا ما لك - اليوم - عندنا من جواب
اطعمونا حتى إذا ما طعمنا وجرت بيننا عرى الأسباب

وقد يمتحنون بالتغافل عنهم، فبعد طول الغيبة ينشدون:

أُدرجْت في أثواب نسيانكم حتى كأنني ألف الوصل

ولما لم تكن ألف الوصل أصلية لم تبق على دوام الأوقات، كذلك من لم تسبق قسمته بالجميل فإلى محتوم الأزل ينول أمره.

فصل [٣٩]:

الحروف[١] التي تخفض الأسماء محصورة نحو: من وإلى وفي والباء الزائدة والكاف الزائدة. . . وأخواتها، وهذه الحروف تدخل على الأسماء وعملها الخفض.

كذلك: من الأسباب الداخلة على العبد ما يعمل فيه الكسر والخضوع والوضع، فمَن داخله الطمع والحرص والتمني والشهوة وأمثالها من الخصال المذمومة والأخلاق الدنيئة أوجبَتْ له ضعة الحال ونقصان الرتبة وخساسة المنزلة.

فصل [٤٠]:

ومن الحروف ما يدخل على الاسم المبتدأ ولا يغير معناه، ولا يوجب له تغير الإعراب وهي مثل: إنما، وكأنما وليتما، ولعلما وغيرها.

والإشارة: أن من الناس من لا تؤثر فيه الواردات بحال، فهو في حال ما دخل عليه مثله في حال تجرده عنها.

دخل أحدهم على بعض المشايخ وبالقرب منه ملاهٍ فتوهم هذا الداخل أنه متغير بما يجري ولكنه رآه لا يؤثر فيه شيء من ذلك، ولا يشغله ما يجري عما كان به من الوقت[٢] فقال: «فَديتُ من لا تؤثر فيه الجبال والرواسي[٣]»!

---

(١) انظر النحو والصرف ص ٢٠٧ ـ ٢١٦.
(٢) انظر الرسالة القشيرية ص ٥٥ ـ ٥٦ (الوقت).
(٣) الرَّواسي: الجبال الشوامخ.

فقال ذلك الشيخ: «يا فلان، إنا قد جردنا عن رق الأشياء في الأزل».

فصل [٤١]:

جواب الأمر والنهي والدعاء والاستفهام والجحد والعرض والتمني ـ بالفاء منصوب، ويجزم عند حذف الفاء.

الإشارة: لما حصلت الفاء واسطة بين الجواب وهذه الأشياء أخرج الجواب عن واجب استحقاقه إلى صفة أخرى. فكذلك شرط الواسطة: تَغَيُّر حكم المدخول عليه. فمن عاش مع الله تعالى بواسطة المعلوم تغير عليه حكم ما وجب له عند التجرد عن المعلوم.

أما العيش مع الله بلا علاقة فيُبقي العبد على ما يحب ـ من تحقيق الوصل ـ في الأصل.

فصل [٤٢]:

المنادى[1] على أقسام: فللمفرد المعرفة وصف، وللمضاف وصف، وللنكرة وصف.

كذلك من كان من العباد مفرداً ينادى على وصف غير وصف ما يُنادَى وهو مضاف.

وكذلك من كان بوصف النكرة. والمفرد المعرفة من الأسماء مبني على الضمة ـ والضمة أقوى الحركات.. وكذلك من كان أبداً بنعت التفريد كان في أعلى الحالات وأقوى الصفات.

والمنادى المضاف منصوب، وكذلك من أضيفت إليه العلائق فهو في أضعف الحالات ـ كما أن النصب أضعف الحركات.

والنكرة من الأسماء خُصّ بعلم آخر، كذلك صاحب النكرة وُسِمَ برقم آخر.

---

(١) النداء: هو الدعاء بأحرف مخصوصة تسمى «أدوات النداء» و«المنادىٰ» هو اسم يقع بعد أداة من أدوات النداء طلباً لإقباله. وأحرف النداء هي: الهمزة، أي، يا، أيا، هيا، وا. (النحو والصرف ص ١٩٥).

فصل [٤٣]:

ويقع في النداء الترخيم(١)، وهو حذف بعض الاسم من آخره على جهة الإيجاز، ولذلك في مسائل النحو شرح.

الإشارة: إلى أنه قد يكون في نحو القلب ترخيم المنادى، وهو أن ينادَى بالإشارة، فيُحذف بعض التفسير ويقتصر على ما هو المعلوم بين الأحباب.. قال عز وجل لنبيه:

(يٓس)، جاء في بعض التفاسير أن معناه: يا سيد، وذلك على سنتهم في الحذف والاختصار كما قال قائلهم:

قلت لها: قفي فقالت: قاف:

والاقتصار ـ على شطر الكلام ـ في مذهب الأحباب أبلغ من الإتمام.. ولهذا قال بعضهم:

ليس من الظَّرف امتحان الحبيب بالوصف.

فصل [٤٤]:

من الأفعال ما ليس يتصرف تصرفاً تاماً مثل:

نِعْم وبِئْس وعسى ولذلك أبواب في النحو وأحكام.

والإشارة منه: أن من الأفعال ما ليس بتام، فلا يتمكن العبد من التصرف فيه على حسب ما أراده، وبعضها به وإليه، فمن ذلك فَتحُ الجفن، والإصغاء، إذ الإدراك ـ وهو البصر. والسمع ـ ليس بمكتسب للعبد، فإذا أتى بالإصغاء وفتح الجفن خلَق الله الإدراك على مجرى العادة... فذلك فعل ناقص التصرف فيه، فيَرِدُ به الأمر والنهي، ويحصل عليه الثواب والعقاب.

---

(١) الترخيم عند النحاة هو حذف آخر المنادىٰ للتحفيف غالباً، والمنادىٰ المرخم نوعان: آ ـ ما خُتم بتاء التأنيث سواء أكان مفرداً علماً نحو: يا فاطمة ويا هبة، أو نكرة مقصودة نحو: يا جارية، ويا أدبية.
ب ـ المفرد العلم بشرط أن يكون أكثر من ثلاثة أحرف نحو: يا حارِ: حارث، يا مالِ: مالك.
(النحو والصرف ص ٢٠١).

فصل [٤٥]:

ومن الألفاظ ما تكون صيغته واحدة ولها معان كثيرة كقولهم: «ما» فيكون صلة ويكون للنفي ويكون بمعنى الذي، وبمعنى مَنْ. . وغيره.

ويكون مشبَّهاً بالمشبه بالفعل فيقولون: ما زيد قائماً. إذ يشبهونه بليس. وقوم يرفعون خبره، وقوم ينصبونه.

ويتبين الفرق بين «ما» «وليس» في تقديم الخبر وذلك لنقصان «ما» عن «ليس». . كذلك الملتحق بالملتحق لا يبلغ شأو(١) المتحقق.

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها

وفي قريب منه قالوا:

فذرْ عينيك وشأنيهما ... أصبحت مشغولاً بمشغول

والمشغول بالمشغول أشدهم محنة، كذلك المتشبِّه بالمتشبّه أضعفهم حالة.

فصل [٤٦](٢):

الاسم المنفي بلا مبني على الفتح، لأن «لا» نقيض «إن»، فلما كانت «إن» ـ التي للتحقيق ـ تنصب الاسم فالمنفي بـ «لا» يبنى على الفتح. . . وهذا باب في النحو يجري على المعنى حكم نقيضه.

والإشارة أنه يوجد في الأحوال ذلك: فإن غاية الحزن توجب الضحك، ونهاية السرور توجب البكاء، وغاية الهجر تكون بترك العتاب، وحقيقة الود تكون بالتجني وكثرة العتاب. . وأنشدوا:

تـرْكُ العتاب ـ إذا استحق أخ ... منك العتاب ـ ذريعةُ الهجر

وأنشدوا:

---

(١) الشَّأْوُ: الشوط والسبق والغاية والأمد.

(٢) انظر كتاب النحو والصرف للدكتور عاصم البيطار ص ١٠١ ـ ١٠٦.

ولمـــا غـــدت عيسهـــم للنـــوى وظلـــت بـأحـــداجهـــا تَـــرْتِـــكُ[1]
ضحكـــت مـــن البيـــن مستعجبـــاً وشـــر الشـــدائـــد مـــا يُضحِـــكُ

وقيل: إنَّ يعقوب عليه السلام لما رأى يوسف عليه السلام بكى، فقيل له في ذلك، فقال: ذاك بكاء الحزن وهذا بكاء السرور.

فصل [٤٧]:

ومن الألفاظ التي تقع على معان مختلفة: «كم»، فإنه يكون بمعنى الاستفهام فينصب. ويكون بمعنى «رب» فيخفض. والفرق بين «كم» و«رب» اختصاص «كم» بالتكثير «ورب» بالتقليل، ويتميز أحدهما عن الآخر بالقرينة والعلامة.

والإشارة: كذلك من الناس من هو في صورة غيره، ولكن بالقرينة والأمارة تتميز المقادير، فالزاهد في صورة الواجد، لكنَّ هذا قصده ـ من الحق ـ عطاؤه، وهذا موجب استقلاله بقاؤه.

وقد يجمع الطريق سالكين ولكن بالمقصد تتفاوت المقادير، فواحد يرجع إلى قَصْر مملوك له، وآخر إلى حجرة بِكِراء.

فصل [٤٨]:

حروف القسم تجر المقسم به بإضمار فعل، فقول القائل: بالله أي يميني بالله أو حلفت بالله.

وبعض هذه الحروف أكثر تعرفاً وأعم دخولاً كالباء، وبعضها أقل كالتاء والواو، وواسطة بين القليل والكثير. . . والكل حروف للقسم.

والإشارة: الجميع من جملة الخدم، ولكن منهم مَنْ يدخل الدار ويتمكن في الصدر، ومنهم من حَدُّه أن يحضر الباب ويقف من البعد، قال تعالى: ﴿**قد علم كل أناس مشربهم**﴾ [البقرة: ٦٠ والأعراف: ١٦٠].

---

(١) العِيُس: كرام الإبل، أو الإبل البيض التي يُخالط بياضها شقرة أو ظلمة خفيّة. النوى: الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بُعد. الحِدْجُ: مركب للنساء كالهودج والمحفة.

فصل [٤٩]:

الظرف على ضربين: ظرف زمان[١] وظرف مكان[٢]، وكلاهما منصوب، لأنهما مفعول فيهما.

وفي نحو القلب: الظرف أيضاً على ضربين: ظرف الزمان وظرف المكان، فالزمان هو الوقت، والوقت ما أنت فيه، ولكن ظرف الزمان في نحو القلب مختلف باختلاف ما فيه، فإن كان الذي في الوقت وفاق الأمر فظرف صاحبه على الضمة، لأن الضمة أقوى الحركات. وإن كان الذي في الوقت خلاف الأمر فظرف صاحبه مكسور ـ لأن الكسر أرق الحركات. وإن كان الذي في الوقت المباحاتُ فظرف صاحبه مفتوح ـ لأن الفتحة أخف الحركات، والمباح أخف الحالات.

وأما ظرف المكان: فإن كان الحق ـ سبحانه ـ بنعت الرضا عن صاحبه فظرفه مرفوع أو منصوب، وإن كان صاحبه برقم الحظ فظرفه مكسور. فإن لون الماء لَوْنُ إنائه.

هذا هو الفرق بين ظرف نحو الخطاب وظرف نحو القلب.

فصل [٥٠]:

من أبواب النحو الاستثناء[٣]، وهو إخراج بعض ما تناوله اللفظ ـ بدليل متصل ـ منه.

نحو: جاءَ القوم إلا زيداً، وغير ذلك.

فلو لم يُعقَّب لفظ الاستثناء لكان اللفظ المتقدم يقتضي للمستثنى دخوله في جملة الأشياء المخبر عنها.

والإشارة: أنه قد يجمع الوقتُ والطريقة قوماً لو لم يتعقب ما يميِّز البعض لاشترك الجميع في الحال، ولكن جاء الحكم فأخرج البعض من الكل:

(١) ظرف زمان: وهو ما دل على زمان الحدث نحو: ساعة، حين. (النحو والصرف ص ١٤٩).
(٢) ظرف مكان: وهو ما دل على مكان الحدث نحو: قبل، عند. (النحو والصرف ص ١٤٩).
(٣) الاستثناء: هو إخراج ما بعد أداة الاستثناء من حكم ما قبلها نحو: زارني الرفاق إلا زيداً. (النحو والصرف ص ١٨٥).

إنَّ الأحبـــــة شمَّـــــروا وبقينـــــا

كذلك قال الشيوخ: إنَّ في كل عصر ووقت يدخل في هذه الطريقة من لا نهاية لهم، ثم يخرج الأكثرون عند حصول الابتلاء والامتحان، ويبقى القليل منهم، ولقد قال الشيوخ: هم الأكثرون ـ وإن قلوا، ومواضع الأُنس حيث حلُّوا.

وينقسم الاستثناء إلى قسمين: استثناء الشيء من غير جنسه، ويقال له الاستثناء المنقطع.

واستثناء من جنسه.

وفي الإشارة: من كان ضدّاً غير مجانس فلا بأس بسقوطه، ولا مبالاة بخروجه.

ومن كان مُحرِماً[1] للقوم.. فإن نُفِي عنهم، وأخرج من بين جملتهم فالحسرة أشد، والحياة أصعب.

فصل [٥١]:

من الحروف ما يلحق بغيره، والمقصود منه تمييز ذلك الغير مما سواه. كالواو الملحقة بعمرو في الخط لتكون فرقاً بين عَمرو وعُمَر.. وهذا الإلحاق لا يدوم عند الاستغناء عنه ـ وهو مثل همزة الوصل فيما ذكرنا من قبل.

والإشارة: أن من الناس مَنْ يلحق بالطريق لأجل الغير، ثم يطْرَح.

وقد قال الشيوخ: إنَّ الله قيض لهؤلاء القوم أحد رجلين: إما مؤمناً موافقاً وإما منافقاً مسخَّراً.

وأنشدوا:

أيهـا المـدعـي سليمـى هـواهـا لسـت منهـا ولا قـلامـة ظفـر[2]

إنمـا أنـت فـي هـواهـا كـواو أُلحقـت فـي الهجـاء ظلمـاً بعمـرو

---

(١) يقول القشيري في هذا الصدد في رسالته ص ٣٨٥: «ومن شرط المريد إذا زار شيخاً أن يدخل عليه بالحرمة، وينظر إليه بالحشمة، فإن أهلّه الشيخ لشيء من الخدمة عدّ ذلك من جزيل النعمة.

(٢) قُلامة الظُّفر: مَثَلٌ في القلة والحقارة.

فصل [٥٢]:

الأسماء على ضربين: منها ما ينصرف ـ وهو الاسم المتمكن، ومنها ما لا ينصرف(١) وهو الناقص التمكن، فالذي ينصرف يجري بوجوه الإعراب، وما لا ينصرف ناقص النصيب من الإعراب.

الإشارة: كذلك الخَلْق، منهم مَنْ هو مجدود في القسمة، يحظى بكل النعم، من إقبال ووصال، وتحقيق آمال، وزكاء أفعال، وصفاء أحوال، بالنهار له توفيق، وبالليل لوصله تحقيق، يجرون على البساط كما يريدون:

﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة﴾ [يونس: ٢٦].

ومنهم من هو منحوس الحظ، إن قبل بالنهار أذيق بالليل طعم الرد، وإن وافى بالليل لحكم الاتفاق تجرَّع بالغد كأس الصد.

فصل [٥٣]:

إذ صغَّرت(٢) اسماً ثلاثياً زدت ياء فيه وضممت أوله، فتقول في تصغير حجر حجير. كذلك إذا أراد الحق تحقير عبد في الرتبة زاد له شغلاً فيتوهمه ذلك البائس نعمةً وفضلاً ورفعةً على أشكاله، وهو في الحقيقة إذلال له، ونقصان لحاله... وعلى هذا النحو تقاس أقسام التصغير.

فصل [٥٤]:

يقال في التعجب(٣): ما أحسنَ زيداً!

وأحسن بزيد!

---

(١) الاسم الممنوع من الصرف: هو الذي لا ينوّن، ويُجرّ بالفتحة نيابة عن الكسرة لعلة أصلية أو علتين فرعيتين فيه، ويسمى أيضاً الممنوع من التنوين. (النحو والصرف ص ٢٩).

(٢) التصغير: هو تغيير يطرأ على بنية الاسم المعرب لتحقيق معنى جديد بأوجز طريقة لفظية وهذا التعريف يدل على أن التصغير خاص بالاسم دون الفعل والحرف، وأنه يطرأ على الاسم المعرب دون غيره، وما صُغّر من المبنيات سماعي يحفظ ولا يقاس عليه. (النحو والصرف ص ٣٨٩).

(٣) في العربية صيغ متعددة للتعجب تدل القرائن على معناها، على أن هنالك صيغتين وضعتا للتعجب وأفادتا معناه بالصيغة نفسها دون قرينة خارجية هما: ما أفعله، وأفعل به. نحو: ما أكرم الجهاد وأكرِمْ بالمجاهدين (النحو والصرف ص ٢٤٩).

وزيد ما أحسنه!

فتنصب الاسم إذا تعجبت من صفته فتقول:

ما أحسن زيداً! أي: أي شيء حسّن زيداً.

والإشارة: النصب أضعف الحركات، فإذا دخل التعجب على الاسم خص بالفتح الذي هو أضعف الحركات، كذلك إذا دخل الإعجاب على المرء آل إلى أضعف الحالات، فإن الإعجاب أشدُّ الآفات.

فصل [٥٥]:

الحال[١] منصوب.. تقول: جاءَ زيدٌ فرحاً، ففرحاً نصب على الحال، واستحق النصب لأنه مفعول. والحال تأتي بعد تمام الكلام، فلما أتى بعد تمام الكلام صار كالمستغنى عنه، فنُصِب.

والإشارة: المستغنى عنه له أضعف الحركات، وأقل نصيب من الاستحقاق، ولهذا قيل: علامة المخلوق أوصاف النقص، لأن المخلوق مستغنًى عنه، قال تعالى: **﴿والله الغني وأنتم الفقراء﴾** [محمد: ٣٨].

وأنشدوا:

وبعيـن مفتقـرٍ إليـك نظـرتنـي   فحقـرتني ورميت بـي مـن حـالـقِ

والحال لا يكون إلا نكرة. (ولذلك) فإن صاحب الحال من القوم يجب ألا ينظر لحاله، لأنه إذا عرف حاله لاحظها، وإذا لاحظها أعجب بها، وإذا أعجب بها تلاشت. وكان الأستاذ أبو عليّ الدّقاق[٢] يقول: «أخص الأحوال ما استترت عن صاحبها».

فصل [٥٦]:

التمييز[٣] يوجب النصب، تقول: عِشرون درهماً... تشبيهاً بالمفعول حيث أتى بعد تمام الكلام.

---

(١) الحال: هو وصف فضلة مسوق لبيان هيئة صاحبه أو تأكيده أو تأكيد عامله أو مضمون الجملة قبله. (النحو والصرف ص ١٥٨، وشرح شذور الذهب لابن هشام).

(٢) هو أبو علي الحسن بن علي النيسابوري المعروف بالدقاق أستاذ القشيري. (الرسالة القشيرية ص ٩).

(٣) التمييز: اسم نكرة يذكر تفسيراً لمبهم قبله يصلح لأشياء كثيرة لولا ذكره نحو: اشتريت خمسة كتب وأحد عشر قلماً (النحو والصرف ص ١٧٦).

والإشارة: أن المفعول ـ لنقصانه عن الفاعل ـ خُصَّ بالنصب لضعف المفعول وضعف الفتحة.

فصل [٥٧]:

الهاء تلحق بعدد المذكر فيما دون العشرة، وتحذف من عدد المؤنث.. تقول: ثلاثة رجال، وخمس نسوة، وتضيف العدد ها هنا إلى المعدود.

واعتبر هذا نوعاً من المعادلة، فلما كان المؤنث أثقل من المذكر حذفت العلامة من لفظ عدده، ولما كان المذكر أخف من المؤنث زيدت الهاء في لفظ عدده فقالوا: ثلاثة رجال ـ والإنصاف في كل شيء عزيز، فإن كان في أحد ضعف يجب أن يقوَّى بغيره، وإن كان في شيء قوة حمِّل ما يحتمله، ولهذا أمر في الشريعة بمواساة الفقراء، وكذلك تحميل العاقلة في الدية.

وقد يفسر العدد بالمعدود نحو قولهم: أحد عشر رجلاً، والتفسير يأتي بعد تمام الكلام فأشبه ما ذكرنا (من المفعول)[١].

فصل [٥٨]:

من الأسماء ما هو اسم موصول لا تتم الفائدة إلا بصلته نحو: ما ومَن والذي وأي.

والإشارة: كذلك من الناس من لا يستقل بتدبيره، ولا يكون له بدٌّ من غيره، ثم إن أراد الله به خيراً سَدّ عليه طريق المخلوقين، وفتح عليه طريق شهود الحق ـ سبحانه.

وإن أراد به سوءاً فالحال بالضّد.

فصل [٥٩]:

إذا نسبت[٢] اسماً إلى اسم زدت في آخره ياء مشددة وأُقِرّ الأول بحاله، تقول في النسب إلى جعفر جعفري، وإلى عُمر عمري... وكذلك حروفه وأقسامه.

---

(١) ما بين قوسين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) النَّسب: إلحاق ياء مشددة في آخر الاسم وكسر ما قبلها للدلالة على النسبة إلى المجرد منها (النحو والصرف ص ٤٠٠ د. عاصم البيطار).

والمنسوب يختص بالمنسوب إليه، وقيمة كل منسوب ما ينسب إليه، وإنما ينسب الشيء إلى الشيء إذا كان بينهما اختصاص.

والإشارة: يجب أن يطالع كل إلى ماذا يُنسب؟ إن كان رجل ينسب إلى الدنيا يقال له دنياوي فقيمته الدنيا.

وإن كان الغالب عليه حديث الآخرة نسب إلى الآخرة، فقيمته الآخرة.

كذلك جميع ما هو الغالب عليه، فلينظرْ كل غالبه يعرف قدره.

فصل [٦٠]:

الجموع مختلفة، فمن جمع هو أقل الجمع، ومن جمع هو جمع الكثير، وأقسام الجمع تكثر. كذلك أحكامه.

والجمع إنما يكون لأشكال تزدوج، وأمثال تجتمع، ثم يُخبر عن المجتمعات باسم واحد.

والإشارة: الإنسان اسم شامل لجملة مخصوصة لها بِنيَة مشهورة: فمن كانت صفاته وخصاله وضيعة فجمعه جمع القليل، ومن كانت خصاله شريفة فجمعه جمع الكثير، وباختلاف أحكامه، اختلاف مقداره ومقامه.

والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، فهذه فصول في نحو القلوب أنشأناها على وجه الإيجاز، وبالله توفيق الخلق أجمعين، وعليه التكلان، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

القسم الثاني

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي أودع الحكمة أهلها، وعلَّم آدم الأسماء كلَّها، وأوقفه على المقصود، من دائرة الوجود، فحلَّ شكلها، فبيّن لبنيه حروفها، ووسم اسمها، ورسم فعلها، فمنهم من شمّر لوابل[1] القسمة وما رضي بطلِّها[2]، ومنهم من رضي بالعزيمة فلما عَقَدَ عقْد العزيمة حلَّها، فزمرة أقبلت على إصلاح الشَّأن ليظْهر فضلها، وزمرة تجاوزت إلى جنَّات الجنان، ذوات أغصان العصيان، من شجرة الطغيان، فقطعت أصلها[3]، ثم نحت نحو من أعلَّها[4]، لعلَّها، تظفر بشفائها ولعلَّها، ويخاطبُها شفاهاً ومن لها.

أحمده على نعمه كلها، وجوده عليَّ[5] دلَّها، فأهدت إليَّ وَبْلَهَا، وأشهد أنَّ لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له شهادةً أستظل ظلَّها، يوم لا ظلَّ إلى ظلُّها، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أرسله إلى جنود الطُّغيان ففلَّها[6]، وإلى ليوث الأوثان فأذلَّها، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه صلاةً دائمة إلى يوم تضعُ كل ذات حملٍ حملها، وبعد:

---

(١) الوَبْل والوابل: المطر الشديد، الضخم القطر.

(٢) الطَّلُّ: المطر الخفيف الضعيف الصغير القطر.

(٣) الأصل: أساس الشيء الذي يقوم عليه وقاعدته ومنشؤه الذي ينبت منه وما يقابل الفرع (أصل الشجرة).

(٤) علَّ فلاناً: سقاه ثانية، أو تباعاً.

(٥) في الأصل: إلى جوده أو إلى وجوده على ذلها وهذا تصحيف وأثبت الصحيح بدليل أنه قيل لذي النون المصري: بماذا عرفت ربك؟ قال: عرفت ربي بربي، ولولا ربي لما عرفت ربي. (الرسالة القشيرية ص ٣١٥).

(٦) فلّ الجيش: هزمه.

فإن النحو عبارة عن القصد، والناس مختلفون في المقاصد، ومفترقون في المصادر والموارد فواحد تقويم لسانه مبلغ علمه، وواحد تقويم جنانه أكثر همِّه، فالأول صاحب عبارة، والثاني صاحب إشارة، فنقول وبالله التوفيق ولرسوله التصديق.

باب أقسام الكلام

قال أهل العبارة: أقسام الكلام ثلاثة: اسم وفعل وحرف، وقال أهل الإشارة: الأصول ثلاثة: أقوال وأفعال، وأحوال، فالأقوال: هي العلوم وهي مقدَّمة على العمل لقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»(١) ثم تجب المبادرة إلى صالح الأعمال ثم تأتي الأحوال مواهب من الله تعالى.

باب الأسماء واشتقاقها(٢)

قال أهل العبارة: الاسم مشتق من السموّ أو من السّمة على الخلاف. وقال أهل الإشارة: اسم العبد: ما وسمه الله تعالى به في سابق مشيئته من شقاوةٍ وسعادة، فمن قرّبه في سابق مشيئته، فقد سما قدره بين بريَّته.

ولما دخل العبادُ إلى مكتب التعليم طالع آدم لوح الوجود فقرأ **﴿وعلَّم آدم الأسماء كلَّها﴾** [البقرة: ٣١] وطالع محمد ﷺ وسلم لوح الشهود، فقيل له بلسان الحال: نحن نطلعك على كلّ موجود، ثم خوطب بقوله: **﴿اقرأ باسم ربِّك الذي خلق﴾** [العلق: ١] فلما قرأ وأدِّب وهُذِّب، قيل يا محمدُ: قد عرفتنا بالأسماء والصفات فتعرّف، إلينا بالذات **﴿اقرأ وربُّك**

---

(١) أخرجه البخاري (إيمان ١٧)، (زكاة ١)، (صلاة ٢٨) ، (استتابة ٣)، (اعتصام ٢، ٢٨). ومسلم (إيمان ٣٢)، وأبو داود (زكاة ١)، (جهاد ٩٥)، والترمذي (إيمان ١، ٢)، (تفسير سورة ٨٨)، والنسائي (زكاة ٣) (إيمان ١٥)، (جهاد ١)، (تحريم، ١) ابن ماجه (مقدمة ٩)، (فتن ١)، والدارمي (سير ١٠)، وأحمد بن حنبل ١/ ١١، ٧٨، ٢/ ٣١٤، ٣٤٥، ٣٧٧، ٤٢٣، ٤٣٩، ٤٧٥، ٤٨٢، ٥٠٢، ٥٢٧، ٥٢٨، ٣/ ١٩٩، ٢٢٤، ٣٠٠، ٣٣٢، ٣٣٩، ٣٩٤، ٤/ ٩، ٥/ ٢٤٦.

(٢) الاشتقاق: هو أخذ كلمة من كلمة أخرى مع تناسب بينهما في المعنى وتغيير في اللفظ (النحو والصرف ص ٣٥٧).

﴾الأكرم﴿ [العلق: ٣] ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ [الأنعام: ٩١]. فلما غاب عن الاسم وجد المسمّى. ولما أعرض عن الفعل[١] حل الحرف المعمَّى، أي: المعنى الذي لا يسمَّى.

فصل

الاسم: صحيح ومعتل[٢]. قال أهل العبارة: الصحيح ما سلم من حروف العلة وهي: الألفُ والواو والياء، وقال أهل الإشارة: من سلم اسمه من ألف الإلباس، وواو الوسواس[٣] وياء الياس ـ فقد صحّ اسمه وحق له الإعرابُ وهو البيان[٤]، ثم الكشف والعيان، فعلم علم اليقين، ثم عين اليقين، ثم حق اليقين، والله أعلم.

باب موانع الصرف[٥]

موانع الصرف عند أهل العبارة: تسع وهي معروفة، وعند أهل الإشارة (الجمع) ـ أن يجتنب العالم جمع الدنيا واجتماع الناس عليه. (والصرف) صرف وجوههم إليه. (والوصف) أن يكون قصده أن يوصف بالخير ويعرف به. (والتأنيث) ضعف العزم،

---

(١) في هذا الصدد قال القشيري برسالته ص ٥٧: سمعت الشيخ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول: لما دخل الواسطي نيسابور سأل أصحاب أبي عثمان: بماذا كان يأمركم شيخكم؟ فقالوا: كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها، فقال: أمركم بالمجوسية المحضة، هلاّ أمركم بالغيبة عنها برؤية منشئها ومجريها، وإنما أراد الواسطي بهذا صيانتهم عن محل الإعجاب لا تعريجاً في أوطان التقصير أو تجويزاً للإخلال بأدب من الآداب.

(٢) انظر كتاب (النحو والصرف ص ٣٢٤ ـ ٣٢٦) (الصحيح والمعتل).

(٣) الوسواس: جمع وساوس، وهو الاسم من وسوس ويعني الشيطان، أو مرض يحدث من غلبة السوداء ويختلط معه الذهن، أو حديث النفس مما يخطر بالقلب من شر أو مما لا خير فيه.

(٤) انظر الرسالة القشيرية ص ٨٥.

(٥) الصرف والتصريف في اللغة التغيير، والصرف بالمعنى العلمي الاصطلاحي هو: «علم بأصول تعرف بها أحوال بنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء» أي هو مجموعة من القواعد تعرف بها الكلمة من حيث وزنها، وحركاتها وسكناتها وحروفها الأصلية والزائدة، وما طرأ عليها من إعلال أو إبدال وما إلى ذلك. والصرف بالمعنى العملي: «تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها» كتحويل كلمة العلم إلى عالم، وعلامة، ومعلوم... الخ (النحو والصرف ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧).

والرضى بالرذائل. (والمعرفة) أن يعرف نعم الله تعالى عليه ثم يقصّر عن الشّكر. (والعجمة) أن يهمل نعمة الله بكتمان علمه. (والعدل) عدوله عن الطريق القويم. (والتركيب) إن يشوب عمله بأفعال الجهل (والألف) ألف أنا، (والنون) نون العظمة. (ووزن الفعل) أن يزن أعماله معتقداً أن عنده ـ حاصلاً فيحصل العجب. فمتى اجتمعت علتان من هذه العلل لم ينصرف إلى القبول، وانحرف عن باب الوصول.

باب الإعراب والبناء

لما كان الإعراب بالحركات الثلاث: الرفع والنصب والجر، والجزم. كان مدار أهل الإشارة برفع هممهم إلى الله تعالى، ونصب أبدانهم في طاعة الله تعالى، وخفض نفوسهم تواضعاً لله تعالى، وجزم قلوبهم عمَّا دون الله تعالى، وسكونهم إلى الله تعالى. والمعرب، هو المتغير من أصحاب التَّلوين(١)، والمبني: ما كان مستقيماً في حاله لا يتغير وهم أصحاب التمكين.

فصل

الأَسماء: معارف ونكرات، وكذلك العباد منهم معروف، له نصيب مع القوم هو به معروف، ومقام في الصدق هو به موصوف، ومنهم منكّر لا نصيبَ له مع القوْم، ولا حظَّ له سوَى الأَكل والنَّوْم.

فصل

المبتدأ: مرفوع لتجرده عن العوامل اللفظية، والفقير المتجرد مرفوع القدر، وخبره مرفوع، لانقطاعه عن العلائق، وتعلُّقه بالحقائق، الواردة من الخالق.

---

(١) التلوين: صفة أرباب الأحوال، والتمكين صفة أهل الحقائق، فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين، لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، ويخرج من مرحل ويحصل في مربع، فإذا وصل تمكّن. (الرسالة القشيرية ص ٧٨). وصاحب التلوين دائماً في الزيادة، وصاحب التمكين قد وصل ثم اتصل، وأمارة أنه اتصل: أنه بالكلية عن كليته بطل. قال بنص المشايخ: انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم فإذا ظفروا بنفوسهم فقد وصلوا (الرسالة القشيرية ص ٧٨).

فصل

الأفعال ثلاثة: ماض وحال ومستقبل، وأحوال القوم مختلفة: فمنهم من فكرته في السابقة، ومنهم من فكرته في الخاتمة، ومنهم من اشتغل بإصلاح وقته الذي هو فيه[1] عن الفكرة في مستقبله وماضيه.

فصل

وفعل الحال: مرفوع ما لم يدخل عليه ناصب أو جازم، فالناصب رؤية العبد لفعله، والجازم فترته عن سلوكه، فإذا سلم العبد من الملاحظة والفتور، ارتفع قدره عند العزيز الغفور **﴿إليه يصعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّب والعمل الصالح يرفعه﴾** [فاطر: ١٠].

فصل

الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، فلما رأى العارفُ ألاَّ فاعل إلا الله تعالى عظُم قدره، ورفع ذكره، وخضع لجلاله، وتواضع عند شهود كماله، ورأى نفسه مفعولاً فانتصب لعبادته **﴿إذا فرغت فانصب، وإلى ربك فارغب﴾** [الشرح: ٧، ٨].

فصل

الحال: وصفُ هيئة الفاعل والمفعول، ومن شرطه أن يكون نكرةً منصوبة، فالعارف[2] متوجِّه إلى الله تعالى في إصلاح حاله، مجتهد في تنكير نفسه كي لا يعرف فأحواله مع الله مستقيمة منتصبة، وهي بستر التَّورية، والنكرة محتجبة **﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التَّعفُّف﴾** [البقرة: ٢٧٣].

---

(١) قال القشيري: يقولون: الصوفي ابن وقته. يريدون بذلك أنه مشتغل بما هو أولى به في الحال، قائم بما هو مطالب به في الحين. وقد يعنون بالوقت ما هو فيه من الزمان. فقد قال قوم: الوقت ما بين الزمانين يعني: الماضي والمستقبل. (الرسالة القشيرية ص ٥٥).

(٢) سُئل يحيى بن معاذ عن العارف، فقال: رجل كائن بائن، وقال مرة: كان فبان (الرسالة القشيرية ص ٣١٧).

فصل

التمييز: تفسير ما أبهم، وتبيين ما لم يكن يُفهم، فالقوم بالعلم ميَّزوا الحقَّ من الباطل، وتبيَّن لهم بالسلوك الحالي من العاطل، ولا يكون التمييز إلا بعد تمام الكلام، وكذلك تفقَّهوا ثم اعتزلوا، وأحكموا العلم ثم تميَّزوا، فلما تمتْ لهم رتبة التمييز، نصبهم الله تعالى لإصلاح عباده، وميزهم فاستخلصهم لوداده، قال الله تعالى: ﴿**ليميز الله الخبيث من الطَّيِّب**﴾ [الأنفال: ٣٧].

باب البدل(١)

البدل: على أربعة أقسام، بدل الكل من الكلِّ(٢)، وهو بدل العارفين، تركوا الكل فعوّضهم الكل ﴿**وجوه يومئذٍ ناضرة، إلى ربِّها ناظرة**﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] شعر:

قلـــوب العـــارفيـــن لهـــا عيـــون ... تـــرى مـــا لا يـــراهُ النـــاظـــرونـــا
وأجنحـــة تطيـــر بغيـــر ريـــش ... إلـــى ملكـــوت ربِّ العـــالمينـــا

وبدل البعض(٣): بدل العابدين، بدَّلوا بالمعاصي الطاعات، وبدّلوا باللذَّات المجاهدات ﴿**فأولئك يُبدِّل الله سيآتهم حسنات**﴾ [الفرقان: ٧٠]. وبدل الاشتمال(٤): لقوم اشتملت أعمالهم على خوفٍ(٥) ورجاءٍ(٦) فأعطوا ما يرجون، وأمنوا مما يخافون ﴿**ألا إنَّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ [يونس: ٦٢].

وبدل الغلط(٧): بدل المطرودين، باعوا نصيبهم من القُرب، بحظوظ عاجلة ﴿**بئس للظَّالمين بدلا**﴾ [الكهف: ٥٠].

---

(١) البدل: هو التابع المقصود بالحكم بلا واسطة، أي هو المقصود بالحكم وحده، وذكر المتبوع قبله تهيئة للذهن وتوجيه النظر إليه (النحو والصرف ص ٢٧٨).
(٢) وسمي أيضاً بدل المطابقة أو البدل المطابق وهو بدل الشيء، مما هو طبق معناه نحو: هذا أخي زيد، وقوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾ (النحو والصرف ص ٢٨٧).
(٣) بدل بعض من كل وهو بدل الجزء من كله سواء أكان الجزء قليلاً أو كثيراً نحو: «قرأت الكتاب نصفه» (النحو والصرف ص ٢٨٧).
(٤) بدل الاشتمال، هو بدل شيء من شيء آخر يشتمل عليه كقولنا: أعجبني زيد خلقه.
(٥) انظر الرسالة القشيرية ص ١٢٤ ـ ١٣١ (الخوف).
(٦) انظر الرسالة القشيرية ص ١٣١ ـ ١٣٨ (الرجاء).
(٧) البدل المباين وهو تابع لا يقع في فصيح الكلام لأنه قائم على غلط أو وهم أو نسيان.

فصل

النّعت: تابع للمنعوت، والوصف تابع للموصوف، كذلك أعمال العبد لا تفارقه، وما حصَّل من خير أو شرٍّ فهو لاحقه.

فصل

حروف العطف تتبع الآخر الأول، وأهل الإشارة توسَّلوا إلى الله تعالى في العطف عليهم، واللطف بهم، ليُلحقهم بأهل قربه، ويجعلَهُم من حزبه.

فصل

التوكيد[1]: هو التحقيق، والقوم أكَّدوا إيمانهم بالتصديق، وعقدهم مع الله بالتوثيق، وشمّروا في ملازمة الطريق.

فصل

حروف الجر: تحفض الأسماء، فلما علم المحققون أن الأشياء بالله، ومن الله، وإلى الله، خفضوا أنفسهم تواضعاً لله، فتعزّزوا بالإضافة[2] إلى جانب الله تعالى، أولئك الذين اصطفاهم الله لقربه وجعلهم من حزبه، نسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم، وأن يُلحقَنَا بهم، إنه كريم لطيف حليم وهَّاب، محسن متفضِّل جواد رحيم توَّاب، وإليه المرجع والمآب.

تم كتاب «نحو القلوب» بحمد الله وعونه،
وصلى الله على سيدنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) التوكيد أو التأكيد أسلوب من أساليب العربية يرمي إلى تقرير المعنى بتكراره أو إلى أن متبوعه حقيقي لا مبالغة فيه ولا مجاز. (النحو والصرف ص ٢٨٢).

(٢) التوحيد: إسقاط الياءات ـ المقصود بالياءات هنا: حروف الجر التي تتصل بياء المتكلم، وكلها تشير للذاتية وترتبط بها ـ فلا تقل: لي وبي ومني وإليّ. (الرسالة القشيرية ص ٣٠٢).

فهرس المحتويات



رياضة النفس

ويليه

نحو القلوب

دار الكتب العلمية

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة

هاتف وفاكس: ٣٧٨٥٤٢ - ٣٦٦١٣٥ ١ ٩٦١ +
ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧
http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

ISBN 2-7451-3556-2
9 782745 135568 90000

طبع في مطابع دار الكتب العلمية